التوجهات المعاصرة للتواصل مع الصم وضعاف السمع

يحيى بن أنلح الحضرمي
باحث في جامعة الحسن الثاني

مقدمة :

يمثل التواصل خطا متصلا يربطنا بالأشخاص وبيئتنا، وتعرضنا لأشكال التواصل المختلفة وتفاعلنا معها، مثل اللغة المنطوقة والكتابة وغيرها مما يدعم نمونا الشخصي، وتكمن أساسيات التواصل في اللغة بالنسبة لمعظم أعضاء جماعة السامعين، ويحدث النمو اللغوي الطبيعي طبيعيا وذلك لأن الأطفال؛ من خلال محاكاة وتقليد لغتهم الأم، يكتسبون اللغة وبدون تعليم مباشر لكن ذلك لا يحدث مع الذين تعرضوا للصمم قبل تعلم اللغة، فنسبة (٩٠ ٪) من الاطفال الصم الذين يولدون لآباء وأمهات سامعين يجدون أنفسهم في عالم مليء بالعوائق، أمام اللغة المنطوقة المستخدمة في البيت، ويحاول آباء وأمهات هؤلاء الأطفال الصم أو ضعاف السمع أقصى جهدهم لتحديد أفضل طرق التواصل مع أطفالهم الصم.

من أكثر الاستراتيجيات المستخدمة في التواصل مع الصم وضعاف السمع على المستوى المحلي والعالمي مما اشارت إليه الادبيات والدراسات والبحوث العلمية :

أولا : التواصل اللفظي (Oral communication):

هذه الاستراتيجية أو الطريقة اللفظية (الشفهية) الأقدم في تعليم الصم، وهي تعتمد على قراءة الشفاه و استخدام ما تبقى من سمعهم (من خلال التكبير للصوت بالمعينات أو التدريب السمعي) تستند هذه الطريقة إلى مسلمة رئيسية، وهي إكساب الأطفال الصم وضعاف السمع القدرة على تعلم اللغة المنطوقة، بشكل معبر وهادف، والعمل على تطوير هذه القدرة من خلال البيئة المحيطة بالطفل إما في البيت أو المدرسة، بهدف تمكين هؤلاء الأطفال من العيش كأفراد مستقلين وكمواطنين مسهمين ومشاركين في مجتمعهم، ويمكن القول إن قراءة الكلام مكمل مهم لبقايا السمع ولكنها ليست بديلة عن السمع؛ فكلما زادت درجة الفقدان السمعي زادت حاجة الأفراد ذوي الاعاقة السمعية إلى الاعتماد على حاسة البصر.

ثانيا : التواصل اليدوي (Manual communication):

تعد هذه الاستراتيجية ملائمة للأطفال الصم وضعاف السمع، ممن لا يمكنهم سماع ما يدور حولهم وفهمه، حتى

* الهوامش والمراجع التي اعتمد عليها الباحث موجودة مع المقال كاملاً في الموقع الالكتروني للمجلة

باستخدام المعينات السمعية، وتهدف مباشرة إلى إكسابهم المهارات التواصلية عن طريق الإبصار، من خلال الإشارات والحركات اليدوية الوصفية، كبديل عن اللغة اللفظية، التي يرى البعض أن استخدامها مع الصم مضيعة للوقت والجهد.

تعتمد استراتيجية التواصل اليدوي على استخدام الرموز اليدوية لإيصال المعلومات للآخرين والتعبير عن المفاهيم والأفكار والكلمات ومن أهم أنواع التواصل اليدوي:

١- لغة الاشارة (Sign Language):

هي نظام يعتمد على التواصل البصري، و استخدام الرموز اليدوية المرئية مثل الحركات المشكلة أو المصورة، التي تستخدم فيها حركات الأيادي، وتعبيرات الوجه والأذرع والأكتاف لوصف الكلمات والمفاهيم والأفكار، والأحداث التي يستجيب لها الفرد، او يرغب في التعبير عنها.

٢- هجاء الأصابع (Finger Spelling):

وتقوم هذه الطريقة على التهجي، عن طريق تحريك أصابع اليدين، في الهواء وفقا لحركات منظمة وأوضاع معينة، تمثل الحروف الأبجدية. وتعد مكملا لنظام الاتصال عند الصم، حيث تستخدم كطريقة مساندة للغة الإشارة، ومن النادر استخدامها بمعزل عنها، ويمكن استخدامها في تقديم بعض المصطلحات والمفاهيم الجديدة والأسماء التي لا توجد لها إشارة متعارف عليها، من قبل مجتمع الصم وضعاف السمع.

وتساعد هذه الطريقة، الصم في تطوير تعبيرهم وتحسين مهاراتهم التواصلية، حتى يصلوا إلى مرحلة إتقان اللغة، وهذا بدوره يعزز ويقوي عملية القراءة والكتابة، وله دور في نقل المعرفة الأكاديمية إلى الصم، وتحسن ثقافتهم ورفع مستوى المخزون اللغوي لديهم.

ثالثا : التواصل الكلي(Total communication):

استخدمت هذه الطريقة في أواخر الستينات، في الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة أحد معلمي الصم روي هولكومب (Roy k.Holcomb)، وهو أب لطفلين أصمين، وتتضمن هذه الطريقة استخدام كافة طرق التواصل (لغة الاشارة، وهجاء الأصابع وقراءة الشفاه، وغيرها) بهدف تحقيق تواصل أفضل مع الصم وضعاف السمع، بحيث يساعد ذلك في تنمية وتطوير قدراتهم على التواصل والتعليم، في ضوء إمكاناتهم واستعداداتهم الخاصة.

وقد أثبتت دراسات وبحوث عديدة، فاعلية استخدام التواصل الكلي في تعليم الصم وضعاف السمع، وكذلك في تنمية مخزونهم اللغوي، حيث إن طريقة التواصل الكلي، تجمع بين مميزات كل طرق التواصل السابق الإشارة إليها، إضافة إلى أنها تساعد المعلمين، في مواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ الصم وضعاف السمع، في ضوء درجة الفقدان السمعي، وزمن حدوثه وكذلك اختلاف الظروف البيئية، والأسرية لكل تلميذ.

تتميز استراتيجية التواصل الكلي ايضا بما يلي :

١- لها تأثيرات إيجابية على عمليات النمو المختلفة وتحسين مهارات الاتصال والتواصل.

٢- تستخدم في تسهيل عملية التواصل اللفظي وتوفير بديل عملي للكلام.

٣- تلبي احتياجات كل طفل على حدة وتعمل على تنمية ما لديه من قدرات لغوية حسب ما يملك من طرق مختلفة يستطيع التحدث بها.

رابعا : التواصل ثنائي اللغة (Bilingual communication):

تتضمن هذه الاستراتيجية التركيز على لغتين (اللغة الأولى في البلد الأم، ولغة الاشارة) وثقافتين (ثقافة مجتمع السامعين، وثقافة مجتمع الصم)، ويتضمن تدريس اللغة العربية على سبيل المثال، وثقافة مجتمع السامعين وفي المرحلة الثانية من العمر، وقد استخدمت

هذه الطريقة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والدنمارك، والسويد، وفرنسا، وأثبت فاعليتها واستفادة الصم وضعاف السمع منها في تطوير مهارات القراءة والكتابة لديهم، وتطوير مهاراتهم الوظيفية، في اللغتين وتحقيق تحصيل أكاديمي أفضل، مما يزيد ثقة الصم في أنفسهم ويجعلهم أكثر احتراما لذواتهم، وثقة في قدرتهم على التفاعل مع الآخرين.

فالفرد ثنائي الثقافة يستطيع الانتقال بحرية بين ثقافتين مختلفتين، كما يستطيع أيضا فهم العادات والتقاليد والأعراف وممارستها، بالإضافة إلى القدرة على تكيفها بالشكل المناسب وكما أن الفرد ثنائي اللغة، لديه القدرة على استخدام لغتين بنجاح، فالأفراد الصم وضعاف السمع يمكن أن يكونوا ثنائي اللغة والثقافة، إذا كانت لديهم القدرة على التواصل بكلتا اللغتين لغة الإشارة للصم واللغة العربية، بالإضافة إلى قدرتهم الوظيفية على التعامل مع ثقافتي مجتمع الصم ومجتمع السامعين.

ويرى أصحاب هذه الاستراتيجية أن الصم متعلمون بصريون حيث يعتمدون على حاسة البصر في تعليمهم وفي التواصل مع بعضهم البعض، وكذلك في تواصلهم مع السامعين من أفراد مجتمعهم. كما انها تناسب كل درجات الفقدان السمعي ثم يستطيع أن يستفيد منه كل الأطفال الصم وضعاف السمع.

■ الخاتمة:

تتباين الفلسفات التي تبنى عليها استراتيجيات للتواصل وطرقه، كما يعتمد استخدامها على درجة الفقدان السمعي، ثم الحاسة التي يتم استخدامها بدرجة أكبر في تعلم المهارة التواصلية.

ومن هذه الطرق ما يقوم على اقصى استغلال ممكن لما قد يتوفر لدى الافراد ذوي الاعاقة السمعية من بقايا سمعية يمكن استخدامها في تحسين مقدرته اللغوية والكلامية وتنميتها ومنها ما يبنى على توظيف حاسة اللمس لدى ذوي الاعاقة السمعية في الاحساس بالذبذبات الصادرة عن الأصوات المختلفة لتعليمهم اصدار الاصوات أو النطق وايضا هناك طرق تستخدم الحاسة البصرية في تعليم المهارات التواصلية، على اساس ما يلعبه البصر من دور بارز في عمليات الاستقبال لما هو قائم في العالم الخارجي من أوضاع وإيماءات وحركات واشارات وتعبيرات شكلية بصرية يمكن تدريب الاصم على ترجمتها إلى معان وأفكار معينة. ومن الطرق ما يقوم على المزج والتكامل بين جميع الطرق ويعمل على توظيف كل المقدرات والامكانات الحسية لدى ذوي الاعاقة السمعية في التدريب الكلامي وتعلم اللغة، على أساس أنه كلما زاد عدد الحواس التي يتم استغلالها في عملية التعليم، وتعددت المدركات الحسية التي يبنى عليها التعلم، وعوامل الربط بينهما، أمكن استيعاب الصوت وإداركه وإنتاجه بشكل أفضل، وساعد على تثبيت ما يتعلمه الطفل من مهارات تواصلية.

همسة ودّ

موازين .. مقلوبة

د. أحمد عبدالملك

الموازين مقلوبة!. هذا حديث يتكرر عند كثيرين من الناس، من الذين يؤمنون بمنظومة الاخلاق، وقيم التعامل، والإنتاجية، ومبدأ تكافؤ الفرص، والأمانة والاستقامة، وغيرها من القيم التي تخلق المجتمع السليم وتؤسس لعلاقات جيدة بين أفراده . وهذا النفر من الناس، يعيش معاناة مخبوءة، قد لا يستطيع التصريح بها لضرورات اجتماعية وإدارية، وقد يموت دون أن يتمكن من إسماع صوته للآخرين.

ونحن في عصر الموازين المقلوبة نرى كثيرًا من القواعد أضحت استثناءً ؛ وكثيرًا من الاستثناءات أصبحت قواعد!؟ لذا، نجد الحوار – في كثير من الأحيان – لا يؤدي إلى نتيجة، طالما أن الطرفين المتحاورين غير متفقين على القيم المذكورة أعلاه . فالتاجر لا يرى في رفعه للأسعار إضرارًا بفئة كبيرة من الناس!. والإداري الذي يقبل رشوة يرى في ذلك فرصة، استنادًا إلى واقع (الكل يأخذ)؟. والموظف الذي يهدر وقت المؤسسة ويعطل معاملات الناس يرى أنه بشر، وأن ما لم يتم إنجازه اليوم سوف يُنجز غداً (ولم العجلة)؟. والشاب الذي يغدر بفتاة وثقت به ووعدها بالزواج والأحلام العريضة، يبرر فعلته بأن الحياة تجارب، وأن تلك الفتاة لا تصلح له!؟ والمسؤول الظالم، الذي يجمع حوله جماعته أو شلته – التي تسبّح بحمده ليل نهار – يرى أن ذلك خير وسيلة للحفاظ على « سمعة» الوزارة أو الإدارة فيما لو قرّب إليه الصالحين والمنتجين وأصحاب الرؤى المستنيرة في الإدارة!؟.

ويحدث نفس الشيء مع « كتبة» هذا العصر في الصحافة، الذين يشحذون أقلامهم لـ « قلب الأمور» والتلاعب بعقول ومشاعر الناس.

وهنالك شخصيات تلعب أدورًا من وراء الستار، تقرّب من تشاء وتقصي من تشاء، وتسمع كلمتها، حتى لو طالت الوطنيين المخلصين، وأصحاب العقول النيرة التي تريد أن تخدم بلدانها، وتقدم المشاريع والمقترحات الناضجة التي ترفع من مستوى المجتمع وتزيد الإنتاجية، وتحقق الطموحات الكبيرة لأبناء الوطن. فكم شاهدنا من ضحايا الموازين المقلوبة في العديد من المجالات، بل ووصل الأمر إلى المجال الفني والأدبي، حيث توضع لوائح (المغضوب عليهم) ممن لا يجوز أن يظهروا في الإعلام، وأنهم يشكلون خطراً على الدولة وعلى الأمة!. وهم أبعد من ذلك بكثير، ولكن تلك من ألاعيب وراء الستار ؟!.

ويتجلى أبرز مظاهر الموازين المقلوبة في مجالس السياسة، التي يرى كثيرون أنها (فن الممكن)، لكنها في الحقيقة فن المراوغة التي تتيح للمتحدث أن يغيّر موقفه بين ليلة وضحاها استناداً إلى تغيّر اتجاه (بوصلة السياسية) أو (بوصلة التهديد)!؟.

نعم الموازين مقلوبة، وإنك لو قلت الحقيقة (زعلوا منك زعلة مضرية)، وإن صمتّ زعلتَ من نفسك، وخيّبت ظن الناس وثقتهم فيك . فأين تضع نفسك في هذا العالم المقلوب؟